المحاضرة الدفاعية
عن
السنة المحمدية

خو حبيب

تأليف

محمد امان بن على الجامى

الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة

طبع على نفقة رابطة العالم الاسلامى - بمكة المكرمة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعــده .
وبعــد . . .

ففي العطلة الصيفية من عام ١٣٨٣هـ، زرت الجمهورية السودانية مع بعض الشبيبة من طلاب الجامعة الإسلامية التي زارت السودان وقامت في أثناء زيارتها بالدعوة إلى الله تحت إشراف الأخ الداعية الشيخ محمد عبد الوهاب البنا المدرس بمعهد الجامعة الإسلامية ، وكنت بصحبتهم من المدينة المنورة إلى بور سودان . وبعد أن أقمت معهم يوماً واحدا عزمت على السفر إلى الخرطوم لإجراء اللازم في شأن السفر إلى الحبشة بواسطة السفارة الأثيوبية بالخرطوم حيث كنت على عزم لدخول الحبشة لو أراد الله . وجعلت أسأل عن أمهات المدن فيما بين بورسودان والخرطوم فوصف لي بعض من سألته مدينة عطبرة ورغبني في النزول بها إذ وصفها بطيب المناخ وجمال المنظر وكثرة الورشات حتى أنهم يسمونها عاصمة الحديد ، فقطعت تذكرة السفر إليها في طريقي إلى الخرطوم ، ونزلت بها فعلا صباح يوم الجمعة ، وفور نزولي توجهت إلى أحد الفنادق .

وفي طريقي إلى الفندق أوقفني إعلان جذاب وقد كتب بخط عريض ملون ونصه كالآتي : (دار النشاط الإسلامي) تقدم مساء يوم الجمعة محاضرة للأستاذ محمود محمد طه تحت عنوان: « المستقبل للإسلام » وراعني الإعلان وسررت به كثيراً ، أولا بوجود الدار المذكورة في مدينة عطبرة . وثانياً بعنوان المحاضرة . وقلت في نفسي لعل صاحب المحاضرة قرأ لسيد قطب كتابه الفريد في بابه المستقبل للإسلام وتأثر به وأراد أن يقدم للناس مضمونه . هذا ما وقع في نفسي حين قرأت الإعلان ، ولم أحط رحلي إلاّ وقد حانت صلاة الجمعة . وقصدت الجامع الكبير لأداء فريضة الجمعة وتذكير المصلين بعد الصلاة بما تيسر إلاّ أن إمام المسجد اعتذر متأسفاً ولم يأذن لي في التذكير ، وخرجت متأسفا أنا بدوري مع قبولي عذر الإمام، ولكني علمت أن بعض الشباب لم يقتنع بعذر الإمام وجعل يتكلم بالاستنكار ، بل جعل أفراد من الشباب يتعرف إليّ ويظهر لي التأسف على ما حصل ، وذهبوا بي إلى دار النشاط الإسلامي سابقة الذكر إذ هم من أهلها وأخذوا يحدثونني عن المحاضرة التي قرأت عنوانها وطلبوا إلى حضورها وأجبت دعوتهم فحضرتها فإذا بمحاضرة الحادية أكثر ما فيها تمويه وتلبيس ولم أملك نفسي في المشاركة في مناقشتها على الرغم من أني غريب في الدار ، بل رأيت أن الذمة لا تبرأ إلاّ بالمناقشة ومحاولة الدفاع حسب الإمكان وقمت بذلك فعلا بعد أن أذن لي رئيس النادي . ولما طالت المناقشة بيني وبين المحاضر اقترح رئيس النادي

بالمناظرة إلاّ أن صاحبنا اعتذر ولم يقبل ، وفي آخر المحاضرة أعلنت لي محاضرة دفاعية للرد والتعقيب على بعض النقاط الحساسة التي جاءت في محاضرته وجعلت أسجل في مذكرتي بعض النصوص التي حرفها للمناقشة حولها ، وقبل موعد محاضرتي حضرت له محاضرة أخرى وناقشته كما ناقشه غيري ، ولكن بدون جدوى لأنه لا يحاول الرجوع عن فكرته مهما كلفته الحال لأنه ليس من طلاب الحق .

ولما أعلنت محاضرتي في الشوارع كالعادة المتبعة بادر بالسفر إلى أم درمان ، وعلى الرغم من غيابه قمت بالقاء المحاضرة وحضرها عدد ضخم ونوقشت كالعادة ، وبعد ذلك طلب مني بعض إخواننا المخلصين من شباب السودان وغيرهم طبع هذه العجالة التي لم أقصد بها إلاّ الدفاع العاجل عن عقيدة الإسلام وتصحيح بعض النصوص التي حرفها المدعو « محمود » ولما أعلمه فيهم من حب الخير والحرص على الدفاع أجبتهم إلى طبعها وتوزيعها في السودان .

والله أسأل أن ينفع بها ويجعلها فاتحة خير . كما أسأله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم بعيداً عن الرياء والسمعة إنه سميع قريب . وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه محمد وآله وصحبه .

محمد أمان بن علي الجامي

الجامعة الاسلامية : كلية الشريعة

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فيقول الله فى محكم تنزيله : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (التوبة : ١٢٨) .

تتمثل تلكم الرحمة والرأفة اللتان وصف الله بهما نبيه فى تعليماته الرحيمة ، وتوجيهاته الحكيمة ومن تلك التعليمات إخباره ببعض المغيبات التى أطلعه الله عليها ، لأنه لا ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحى يوحى . علمه شديد القوى) (النجم : ٣ — ٥) .

فيقول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو يخبر عن مثل هذه الأوقات المظلمة التى تمر على المسلمين اليوم : « بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء » . وقال فى تفسير الغرباء : « هم الذين يصلحون ما أفسد الناس من سنتى » . وفى رواية أخرى : « هم الذين يصلحون حين يفسد الناس » . وقال فى حديث أبي هريرة فى صحيح مسلم : « يكون فى آخر الزمان دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم لا يضلونكم ولا يفتنونكم»

ووجه كون هذه الأخبار رحمة ، إن الإنسان عندما يفاجأ اليوم ببعض آراء الملحدين الجريئة التي تهاجم دين الله المنزل من السماء — ومنهجه الذى ارتضاه للبشرية ، تهاجمه بكل وقاحة وبمنتهى الجرأة والقادرون على قمع هذه الآراء وإيقافها عند حدها ساكتون ولا يثورون غيرة على هذا الدين الذى يدينون به فى مثل هذا الموقف يتذكر الإنسان هذه الأخبار الصادقة . فلا يندهش كثيراً ، بل يزداد إيماناً على إيمان ، ويقيناً فوق يقين بهذا الدين وبمن أنزله وبمن أنزل عليه . وقد فوجئنا فى مدينتكم هذه (عطبرة) مع الأسف بهجوم عنيف ضد تعاليم الإسلام من المدعو (محمود) تناول فيه العناصر الأولية لهذا الدين فى محاضرته التى استطاع فيها أن يخرج كل ما فى جعبته بكل صراحة ووقاحة ، ولكثرة النقاط الالحادية التى جاءت فى محاضرته ، سجلت فى هذه الوريقات ما استحضرته خشية النسيان ولنناقشها نقطة نقطة ونرد شبهاته شبهة شبهة ، مستعينين بالله تعالى .

ومن أخطر ما جاء فى كلامه — هداه الله — قوله بأن العبد يترقى حتى يسمى بالاسم الفرد (الله) بدعوى أنه يسمو ويعلو روحياً بالرياضيات الروحية وبالخلوة فيترقى إلى درجة الألوهية والربوبية فيسوغ له آنذاك أن يقول هو (الله) (سبحانك هذا بهتان عظيم) وهذه النقطة هى حجر الأساس فى دعوته ، وهى هدفه الأول والآخر ، لأنه يستطيع بمقتضاها أن يسقط عن الناس جميع التكاليف

ويصبح الإنسان حراً مطلقاً لا يخضع للأوامر والنواهى وهذا ما يريده ويدعو إليه وما عدا ذلك من النقاط الكثيرة التى سوف تسمعونها فكلها وسائل غير مقصودة إلا أنه سلك فى دعوته إلى هذه النقطة مسلك اللف والدوران والتعمية على الناس ، وكان يحلق فى أجواء بعيدة لا يدركها عوام الناس وفات المسكين (محموداً) أن الإنسان إذا بلغ تلك المرحلة وسمى (الله) لا يقف عند الحرية المطلقة التى يشهدها (محمود) بسقوط تكاليف الدين فقط ، بل يكون معبوداً لأن الله هو المألوه المعبود وبذلك يورط نفسه فى أوحال الشرك من حيث لا يشعر .

النقطة الثانية : هى سقوط الصلاة عن خواص العارفين على حد عبارة الملحدين ، من يسميهم (محمود) بالعارفين – وهم فى الواقع هم الجاهلون – كانوا يتدرجون فى هذه المسأله على النحو التالى يزعم الواحد منهم ، أولا : أنه بلغ مرحلة استطاع أن يستأذن فيها ربه أن يصلى الصلوات بمكة أو بالمدينة ، فأذن له فجلس فى أوقات الصلاة بدعوى أنه يصلى فى أحد الحرمين ، وإذا ما تأكد أن الناس آمنوا بهذه المرحلة الأولية أعلن بسقوط الصلاة عنه كلياً . إلا أن محموداً لجرأته ولظنه أن الجو صاف قابل لكل ما يلقى فيه ، صرح بالمرحلة النهائية من أول وهلة بدون تدرج فلا يشك طبعاً من فى قلبه مسكة من الإيمان ولديه أدنى معرفة أن هذه الطريقة لا صلة لها بهدى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم كما يعلم الجميع يصلى بأصحابه فى سفره وحضره ، صلى بهم بمنى ومزدلفة وعرفة وفيما بين مكة والمدينة ولا يعلم أنه قال ذات يوم لأصحابه : « صلوا أنتم هاهنا وأنا أصلى بمكة أو بالمدينة إذا كان خارجهما » . وهو سيد ولد آدم . وكان صلى الله عليه وسلم كثير العناية بالصلاة وكانت قرة عينه فى الصلاة وكان حكمه صلى الله عليه وآله وسلم على تارك الصلاة بأنه كافر . حيث يقول صلى الله عليه وسلم : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » . ويقول أيضاً : « ان بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة » وما ذلك إلا لأنه قطع صلته بالسماء لأن الصلاة هى الصلة بين العبد وربه ، ولذا سميت بالصلاة . ولو ذهبنا نسوق الآيات القرآنية التى تدل بمنطوقها : أن الصلاة والخشوع فيها من صفات المؤمنين وتدل بمفهومها أن تاركها غير مؤمن . لو فعلنا ذلك لطال بنا المقام ومن تلكم الآيات الكثيرة الآية : ٣ من سورة البقرة (الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) . والآية : ٣ من سورة الأنفال (والذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون) . والآية : ٢ من سورة المؤمنون (الذين هم فى صلاتهم خاشعون) إلى غير ذلك من الآيات .

وقد اتفق الأئمة الثلاثة مالك ، والشافعى ، وأحمد : على قتل تارك الصلاة بعد الاستتابة وإنما اختلفوا : هل يقتل حداً أو كفراً . ولا يعلم خلاف بين المسلمين خلفهم وسلفهم فى أن جاحد وجوبها المدعى سقوطها كافر وخارج عن الملة . ومن المؤسف ، بل المبكى أن يتظاهر الإنسان اليوم بسقوط الصلاة عنه وعدم وجوبها عليه ثم يتمكن من جمع الناس له فى عدة مدن وعدة أندية ليبث أفكاره الالحادية بدون مقاومة فعالة ممن بأيديهم السلطة والقوة – هداهم الله وأخذ بأيديهم إلى الحق – فإنا لله وإنا إليه راجعون . ويحسن بي أن أذكر لكم بهذه المناسبة قصة الجعد بن درهم الذى قتل فى عصر

التابعين بعد أن أفتى علماء التابعين بكفره ، وهو لم يقل : أنا الله ولم يفت بجواز ذلك ولم يترك الصلاة ولم يطعن فى الزكاة إذا ماذا فعل ؟ .

الذى حصل بالضبط أن الرجل ادعى أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلا ، ومع ذلك حضر مصلى العيد ليصلى مع المسلمين ، وخطب أمير البلدة خالد بن عبد الله القسرى خطبة العيد ، وقال فى آخر خطبته : (أيها الناس ضحوا تقبل الله ضحاياكم ، فإني مضح بالجعد بن درهم لأنه ادعى أن الله لم يكلم موسى تكليماً ولم يتخذ إبراهيم خليلا) فنزل من على المنبر فذبحه . ذكرت لكم هذه القصة لتدركوا الفرق بين إيماننا وإيمانهم وغيرتنا وغيرتهم ، بين دفاعهم الصحيح ودعوى دفاعنا الذى لا بينة عليه .

النقطة الثالثة — بحث الزكاة : يرى (محمود) أن الزكاة ذات المقادير تشريع مؤقت ملائم للعصور الأولى القاصرة ، ولذا لا تصلح لهذا العصر الراقى المتطور ، بل يجب أن نترقى فى هذا العصر إلى روح الإسلام وهى العدالة الاشتراكية ، ونمنع بذلك ملكية الفرد ويشترك الناس جميعاً فى خيرات الأرض ... هذا خلاصة كلامه . والواقع أن (محموداً) لا فرق عنده بين الأوضاع البشرية وبين المنهج السماوى الذى نزل ليسير العباد عليه دائماً وأبداً والذى لا يخضع لأى تغيير أو تبديل مهما تطور الزمن وتقدمت الأفكار ، وليس بغريب من مثله أن يتفوه بمثل هذا بعد أن استطاع أن يقول يجوز للعبد أن يدعى ذات يوم : أنه هو (الله) وتسقط عنه الصلاة ونحن نؤمن أن الإسلام هو دين العدالة ، ولا عدالة إلاّ فى الإسلام ، وهو دين الانفاق والإيثار (ومما رزقناهم ينفقون) البقرة : ٣ (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر : ٩ . ولا يمنع الإسلام ملكية الفرد أبداً ، بل يحترمها ويوجهها توجيهاً حسناً ، ويوجب على الملاك الانفاق من أموالهم على المحتاجين على ماهو معلوم لدى الجميع وهؤلاء الذين يعترضون دائماً على هذا الوضع الذى عليه الناس من أن بعضهم فقراء وبعضهم أثرياء طبقات مختلفة إنما يعترضون على الله عز وجل فى أفعاله ولما اختار الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم للرسالة الأخيرة اعترضه كفار قريش على هذا الاختيار فرد الله عليهم رداً مسكتاً لهم ولمن يأتى من بعدهم من كل من يعترض على أحكام الله وأفعاله . يحكى الله ذلك فى سورة الزخرف ، الآية ٣١ : (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) ثم قال فى تتمة الآية : (أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون) أى ليسخر بعضهم بعضاً ويستخدم بعضهم بعضاً على اختلاف طبقاتهم وعلى ذلك يقوم نظام الحياة :

الناس للناس من بدو وحاضرة   بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

فالأغنياء يستخدمون الفقراء وهم خدم لهم ، والفقراء يستخدمون الأغنياء وهم فى حاجة دائماً إلى الفقراء فى اصلاح أموالهم وحفظها وتنميتها ولا يستغنون عنهم وهذه سنة الله فى خلقه (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) فاطر : ٤٣ . وذكر صاحبنا الحائر عدة شبه تقضى بسقوط الزكاة فى نظره :

أولا : القول بوجوب الزكاة يسوغ ملكية الفرد . والجواب : على هذه الشبهة أن ملكية الفرد أمر ضروري وطبيعي فلا مفر منه . وتوضيح المسألة : أن الله حرم أموال بعضنا على بعض إلاَّ برضاه وطيب من نفسه (لا يحل مال امرئٍ مسلم إلاَّ عن طيب نفسه) (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا) وهكذا قال المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع ، يوم النحر محرماً للأموال بعد إضافتها لأصحابها وما ذلك إلاَّ لأنهم ملكوها ملكاً صحيحاً ومن جهة أخرى أن الله شرع قطع اليد في السرقة ولو كانت الأموال مشتركة بين الناس لما قطعت يده لأن له شبهة في كل جزء من أجزاء الأموال والشبهة تمنع تنفيذ الحدود (ادرؤا الحدود بالشبهات) .

ثانياً : أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يزك . وهذه شبهة واهية لا تليق إلا على قليل المعرفة لأنه صلى الله عليه وسلم لم يملك قط مالاً يبلغ النصاب وحال عليه الحول ولو حصل ذلك لزكى ، وكان مورد رزقه صلى الله عليه وآله وسلم الغنائم (جعل رزقي تحت ظل رمحي) يأخذ حصته من الغنائم وينفق منها على بيوته وفي قضاء ديونه لأن حياته كلها كانت وقفاً على تبليغ الرسالة وأداء الأمانة : ونصح الأمة والجهاد في سبيل الله . ولم يشتغل بجمع الأموال ولا ببناء القصور .

ثالثاً : أنه صلى الله عليه وسلم ما كان يأخذ منها هو وآل بيته لكونها أوساخ الناس وهذه الشبهة أوهى من التي قبلها ، بل هي كلمة حق أريد بها الباطل وأي صلة بين تحريم الزكاة على الرسول وآل بيته لكونها أوساخ الناس وبين سقوطها عن الأمة اليوم بعد أن أوجبها الله على العباد وأمرهم بها في عدة مواضع من كتابه مقرونة بالصلاة (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) البقرة ٤٣ . وفصلها الرسول صلى الله عليه وسلم ببيان مقاديرها والأموال التي تجب فيها وبيان مصرفها . أما الرسول صلى الله عليه وسلم فقد خصه الله ببعض الأحكام من الإباحة والتحريم لحكم ومن تلك الأحكام تحريم الزكاة عليه . وقد يقال – والله أعلم – في حكمة تحريم الزكاة عليه ما يأتي :

أولا : تقتضي الحكمة عدم الأخذ منها هو وآل بيته إذ لو أخذوا منها لربما احتمل أن يقال : إنه إنما أمرهم بها لمصلحة اقتصادية تعود عليه وعلى أهل بيته فاقتضت الحكمة عدم الأخذ منها سداً للباب على هذا الاحتمال والله أعلم .

ثانياً : بأن الله جعل له ولآل بيته حقاً في خمس الغنائم بدل الزكاة وبهذا تُدفع الشبهة ويتضح وجه الحق ولله الحمد والمنة .

ولننتقل الآن إلى عرض النصوص التي ساقها وحرفها ليؤيد بها فكرته وليلبس على الناس ، حيث يريهم أنه يستدل بالنصوص على آرائه لتروج عند السذج . فنبدأ بالآيات . الآية الأولى قوله تعالى : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو) البقرة ٢١٩ . زعم المسكين أن هذه الآية بقيت معطلة لا يعمل بها من حين نزولها إلى هذا القرن ويعلل ذلك أن الآية تدعو إلى العدالة الاشتراكية والوسط الذي نزلت فيه قاصر عن تطبيق هذه العدالة ، وظل يعمل بالزكاة ذات المقادير . أما الآن وقد تقدمت الأفكار البشرية مع تطور الزمن فيجب العمل بها بدلا من الزكاة ذات المقادير ، هكذا يطعن المسكين

بكل جرأة ووقاحة تلكم القرون المفضلة التي شهد لها الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم أنها (خير القرون) حيث يقول : « خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » ولا خير فيه قطعاً مع القصور فى فهم الدين والعجز عن تطبيق الإسلام وهؤلاء السلف الذين يستخف بهم المذكور بما فيهم أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف . هم سند هذا الدين ، فإذا طعنوا واتهموا بالقصور فقد طعن الدين نفسه ومن طعن هذا الدين فما عليه إلا أن يلتمس له ديناً آخر وملة أخرى : (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين) آل عمران ٨٥ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رغب عن سنتى فليس منى » فلندع هذا الخبط ولنفهم المعنى الصحيح للآية وهو أنك إذا أردت أن تنفق مما زاد عن حاجتك بمعنى أنك تبدأ بنفسك ثم بمن تعول ثم تنفق فى المشاريع الأخرى . هذا هو الأصل فى الانفاق على أساس : اليد العليا خير من اليد السفلى وأبدأ بنفسك وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى .

ولا يمنع هذا أن تؤثر أخاك المسلم على نفسك ان قدرت على الصبر على ذلك ، وليس بواجب أن تتصدق بكل ما زاد على حاجتك الضرورية ، حيث وصف الله بالإيمان حقا من ينفق بعضاً مما رزقهم الله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم . وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً) الأنفال ٢ – ٤ . وإذا أردت أن تكون من المؤمنين فما عليك إلا أن تطبق هذه الصفات الواردة فى هذه الآيات وغيرها من آيات الكتاب المبين . والآية الثانية قوله تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) العنكبوت : ٦٩ .

حاول (محمود) أن يستدل بهذه الآية على ما يسميه بعلم الحقيقة – أو علم الباطن – بدعوى أن الإنسان يبلغ بالمجاهدة والطاعة – إلى مرحلة تؤهله أن يأخذ عن الله بدون واسطة – وهذه من شطحات الصوفية القديمة – وليست شيئاً جديداً جاء به (محمود) ولا يدعى هذه الدعوى – إلا الزنديق الذى يحاول أن يخرج على رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم ولو كان ذلك جائزا – لكان أبو بكر رضى الله عنه أولى بذلك لأنه أفضل هذه الأمة ، بعد نبيها صلى الله عليه وسلم .

بهذه المناسبة نحيطكم علماً أن هذه الآراء الشاذة التى يدعو إليها هذا المسكين المتخبط ليست من بنات أفكاره – كما يظن بعض الناس – وإنما هى آراء بالية أخذها من بطون كتب الملاحدة إلا أنه يزركشها أحياناً زركشة ويلونها تلويناً ليظن الناس أنها من بنات أفكاره .

وبعد فلنفهم الآن المعنى الصحيح للآية وهو أن العبد إذا لازم تقوى الله تعالى وبذل وسعه فى طاعته وحاول فهم شريعته فهماً صحيحاً وفقه الله وهداه إلى الصراط المستقيم ويسر له الأسباب في تحصيل العلم ويسر له العمل الصالح وهذا هو معنى قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) الطلاق : ٤ . وهذا أيضاً معنى الأثر الذى يكرره (محمود) دائماً ظناً منه أنه حديث « من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم » ولا يدل هذا الأثر – بعد صحته – على أكثر مما ذكر فى الآية السابقة . الآية الثالثة : (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الأنفال : ١٧ .

حاول صاحبنا – كعادته – أن يحمل الآية مالا تحتمل ، حيث أراد الاستدلال بها على تلكم العناوين الكثيرة التي يكررها دائماً الظاهر والباطن والشريعة والحقيقة ، ومعنى الآية واضح جداً وتوضيحه كالآتي : نفت الآية نوعاً من الرمى عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وأثبتت له نوعاً آخر . فالرمى المنفى عنه صلى الله عليه وسلم هو الرمى المقرون بالإصابة ، لأن الله تعالى هو القادر وحده على إيصال التراب الذى رماه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحذفه إلى أعين الكفار وإصابة أعينهم كلها بذلك التراب القليل . والرمى المثبت هو الذى بمعنى الحذف ويكون معنى الآية : لم تكن أنت الذى أوصلت التراب إلى أعينهم وأصبتها به بل أنت وظيفتك الرمى والحذف فالله هو الموصل للتراب والمصيب به أعينهم ، هذا معنى الآية لالف ولا تلبيس . ولله الحمد والمنة .

الآية الرابعة : (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) التوبة : ١٢٣ هذه الآية فى نظر صاحبنا من أصرح أدلته فى الدلالة على ما يزعم هو وسلفه الملحدون – كابن عربي وابن الفارض – فى أن للقرآن ظاهراً وباطناً : والظاهر هو الذى يفهمه المسلمون قديماً وحديثاً وهو ظاهر كما يدل عليه اللفظ والمعنى . والمعنى الباطن الذى يدعى معرفته بالالهام من يسميهم بالعارفين . ان الكفار هى الجوارح من العينين والأذنين وغيرهما . وهذا الكلام الصوفى المضحك لا يستحق أن نقف عنده كثيراً لظهور بطلانه ، بل نحمد الله الذى عافانا مما ابتلى به كثيراً من عباده .

الآية الخامسة : قوله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى) المائدة : ٣ يزعم صاحبنا – هداه الله – أن هذه الآية تخبر أن الذى تم وكمل هو انزال القرآن إلى الأرض فقط ، أما التشريع والبيان فلم يتما بعد فهذه جرأة نادرة من (محمود) كعادته إلاَّ أنها جرأة طائشة ووقحة وقد أرسل الله رسوله صلى الله عليه وسلم وآله بالتبليغ والبيان (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته) المائدة : ٦٧ وقال (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) النحل ٤٤ . وقد بلغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم رسالة ربه ونصح لأمته وبين لهم البيان الشافي – بأبي هو وأمى صلى الله عليه وآله وسلم – لم يترك شيئاً يقربنا إلى الله إلا بيّنه لنا ودلّنا عليه كما لم يترك شيئاً يبعدنا عن الله . وعن دار كرامته ويقربنا إلى النار إلاَّ بيّنه لنا وحذرنا منه ويقول أبو ذر رضى الله عنه (لقد توفى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (وما طائر يقلب جناحيه فى السماء إلاَّ ذكر لنا منه علماً) لأنه صلى الله عليه وسلم نهى عن كل ذى مخلب من الطير ، وعن كل ذى ناب من السباع . وقد أوتى جوامع الكلم ، وأجمل بعض البيانات فى كليات تندرج تحتها جزيئات كثيرة وكلما جدت مسألة أو مسائل فلابد أن توجد لها قاعدة كلية تندرج تحتها تلك المسألة أو المسائل بعد التحقيق وإمعان النظر وهى التى يعبر عنها الفقهاء : (عموم الشريعة) أو (عموم النصوص) فالناس درجات ، طبعاً فى إيجاد المدخل للجزئيات المتجددة فى عموم النصوص ، وكان من الانصاف إذا عجز العالم عن ادراج ما استحدث من المسائل وما سيحدث تحت تلكم الكليات كان من الانصاف أن يسأل من هو أعلم منه إن وجد . وإلاَّ وكّل العلم إلى عالمه قبل أن يتهم الشريعة بعدم الكمال ، وقبل أن يزعم أن البيان لم يتم بعد ، وبهذا ينتهى كشف الشبه

حول الآيات التى لبس بها (محمود) فى بعض محاضراته وأرجو إن زال الإشكال وظهر وجه الحق لننتقل إلى الأحاديث .

الحديث الأول : (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) .

يزعم بعضهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام عند رجوعه من بعض غزواته وهذا الحديث قد ضعفه غير واحد من أهل العلم من حيث السند ، وهو غير صحيح من حيث المعنى أيضاً . وكل من علم مكانة الجهاد فى سبيل الله وأجر من استشهدوا فى سبيل إعلاء كلمة الله الذين هم (أحياء عند ربهم يرزقون) يدرك تماماً أن البون شاسع بين هذا الجهاد الذى هذه مكانته (وبين الجهاد الثانى الذى هو مخالفة الهوى وحمل النفس على الطاعة مع العلم أن من قام بجهاد الكفار وخاض المعركة لاعلاء كلمة الله فقد جمع بين الجهادين والأمر واضح ولا حاجة إلى الإطالة .

الحديث الثانى : (حسنات الأبرار سيئات المقربين) وقد ذكرت فى بعض مواقفى – مع صاحبنا أن هذا الكلام ليس بقول الرسول صلى الله عليه وسلم ولا قول صحابي ولا تابعي بل هو قول أبي سعيد الخراز – أحد الصوفية – كفى الله المسلمين شرهم . كما ذكرت أنه غير صحيح من حيث المعنى إذ لا يعقل أبداً أن تنقلب حسنة من الحسنات التى يثاب عليها زيد من الناس وهو فى درجة الأبرار – سيئة فى حق عمرو – وهو من المقربين – وقد حاول صاحبنا أن يجد لهذه القاعدة الخرازية مثالا فى الشريعة ، وانى له ذلك ؟ وقال بعد أن فكر طويلا – إلا أنه تفكير غير موفق : لو تصدق إنسان بصدقة سرية لم يطلع عليه أحد ثم حدثته نفسه ، وأعجب بنفسه يكون هذا العمل حسنة بالنسبة لهذا الإنسان إلا أنه يعد سيئة إذا ارتفع إلى درجة المقربين لما دخل فيه من الإعجاب بالنفس .

هذا ملخص كلامه فى محاولته وهى محاولة فاشلة كما ترون . والجواب عنها : إن كان لابد من الجواب أن يقال الصدقة حسنة فى حق كل واحد من الأبرار والمقربين والعجب سيئة فى حق كل واحد منهما ولا إشكال فى الموضوع وبالله التوفيق .

الحديث الثالث :

« أخوف ما أخاف عليكم الشرك الخفى ؟ فسئل عنه فقال هو الرياء » . ذكر صاحبنا أول هذا الحديث وسكت عن آخره ، لأنه لا يتفق مع مراده وهكذا يفعل كل مغرض وصاحب هوى مع النصوص . ثم جعل يفسره على هواه بأن قال : (المراد بالشرك الخفى أن يرى الإنسان نفسه وقد علمنا المعنى الصحيح للشرك الخفى من نفس الحديث مع أن لفظ الحديث (الشرك الأصغر) لا (الشرك الخفى) ولله الحمد والمنة .

الحديث الرابع : (الظاهر والباطن) جاء ذكر هذين الاسمين العظيمين فى الكتاب العزيز كما جاء ذكرهما وتفسيرهما فى السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكثيراً ما يكرر صاحبنا هذين الاسمين ظناً منه أنهما يدلان على أن للشريعة ظاهراً وباطناً تقليداً لبعض الصوفية الذين يذكرون الحديث بتمامه بما فيه تفسير الرسول صلى الله عليه وسلم ، للاسمين الشريفين

غيرهما من الأسماء الواردة فى الحديث ونصه هكذا : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذا أوى إلى فراشه : اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم خالق كل شئ ، فالق الحب والنوى منزل التوراة والانجيل والقرآن أنت الأول فليس قبلك شئ وأنت الآخر فليس بعدك إشئ أقض عنى الدين واغننى من الفقر » فهل بعد هذا التفسير من تفسير ، فماذا بعد الحق إلا الضلال .

وكان (محمود) يجهل هذا التفسير النبوى أو يتجاهل تجاهل مغرض ويقول بدون روية (كل شئ له ظاهر وباطن ، فالله له ظاهر وباطن . والشريعة لها ظاهر وباطن والإنسان له ظاهر وباطن) وقد دندن صاحبنا حول هذه المسألة كثيراً ونوقش كثيراً ونقدنا الأمثلة التى أوردها إلا أنه يجيد التهرب والتملص فلم يستفد من المناقشة والنقد والردود . نسأل الله لنا وله الهداية .

الحديث الخامس : (تخلقوا بأخلاق الله) .

ذكرت لكم سابقاً أن هذا الحديث لا أصل له فى شيء من كتب السنة ولا يعرف له اسناد . ومعناه غير صحيح بيان ذلك : المراد بالاخلاق الصفات قطعاً فالله موصوف بالعظمة والكبرياء ، وأنه يحى ويميت . . وهل يجوز للعبد أن يتصف بهذه الصفات ؟ .

الجواب السليم (لا) بالخط العريض . وقد يقول القائل هنا : أليس العبد يوصف بالعلم والقدرة والحياة والوجود وهذه من صفات الله تعالى ؟ .

الجواب أن يقال : ان علم الخالق تعالى غير علم المخلوق وكذلك قدرته وحياته ووجوده .

وتوضيح ذلك فى صفة العلم — مثلا — علم المخلوق علم مخلوق مثله ، يناسب حاله كان مسبوقاً بجهل ويطرأ عليه النسيان ما أكثر ما نعلم شيئاً ثم ننساه ، فهو ناقص غير محيط بكل شيء . أما الرب سبحانه فعلمه قديم قدم ذاته — غير مسبوق بجهل قط — ولا يطرأ عليه نسيان — ولا غفلة — وهو محيط بجميع المعلومات ، وهكذا يقال فى سائر صفاته التى فيها الاشتراك فى اللفظ — كالكرم — والجود — والرحمة — والعفو — والمحبة — والغضب — ونحو ذلك — وهكذا تزول الشبهة ويظهر وجه الحق — واضحاً — فلله وحده الحمد والمنة .

الحديث السادس : « خلق الله آدم على صورته ». هذا هو الحديث الأخير من الأحاديث التى ساقها (محمود) ليلبس بها على الناس وهو لم يذكر الحديث بتمامه ، وإنما اقتصر على القدر الذى كان يظن أنه من شواهده كعادته المعروفة . وذلك فاته المعنى الصحيح للحديث ، ومرجع الضمير فى قوله : (على صورته) وتمام الحديث — بما فيه ذكر السبب — كالآتى : مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل يضرب ابنه أو غلامه ، فى وجهه لطماً ويقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك . فقال رسول الله إذا ضرب أحدكم غلامه فليتقى الوجه فإن الله خلق آدم على صورته » .

ومعنى الحديث جد واضح ، ومرجع الضمير ظاهر من ذكر سبب الحديث ، وتوضيح المعنى كالآتى : يقول صلى الله عليه وسلم مؤدباً لأمته : إذا أراد أحدكم أن يضرب من يجوز له ضربه — ضرب تأديب طبعاً — كالغلام ، والولد ، والزوجة ، فليتق الوجه ضرباً ، احتراماً بأبي

البشر آدم لأن الله خلق وجه آدم مشبهاً لوجه هذا الإنسان المضروب ، وهذا ما يسميه علماء البلاغة بالتشبيه المقلوب إذا كان المفروض تشبيه وجه الفرع بوجه الأصل ، ولكنه جعل وجه الفرع كالأصل تنفيراً من ضربه ، وكان غرض صاحبنا من ذكر الحديث الاستدلال به على أن آدم فيه صفات من صفات الرب ظناً منه أن الضمير في قوله صلى الله عليه وسلم على صورته – راجع إلى الله – وقد علمت عدم صحة هذا الفهم بمعرفتك المعنى الصحيح للحديث ، فلله الحمد والمنة .

أيها الأخ المسلم لا يشككنك في دينك تلبيس الملبسين وزعماء التجديد ، وتلامذة الملحدين الذين يتبعون ما تشابه من النصوص ابتغاء الفتنة ، وابتغاء التأويل والتحريف ، على حسب أهوائهم ، وإذا ابتليت بهذا النوع من الناس ، وأراد أن يلبس عليك في باب صفات الرب جل وعلا ، بمحاولة تشبيهها تشبيهاً بصفات المخلوق ، أو بنفيها وتعطيلها ، بدعوى التنزيه ، فاستحضر قوله تعالى : (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) الشورى : ١١ . (هل تعلم له سمياً) مريم : ٦٥ . (ولم يكن له كفوا أحد) الصمد : ٤ . وما في معناها من النصوص . ووجّه هذه المدافع إلى قلوب أولئك الملبسين فسرعان ما يصرعون ، أو يقعون أسرى في يدك ، فاحسن التصرف في الأسرى ، وكن حكيماً معهم والله ولي التوفيق .

وان ابتليت مرة أخرى بأولئك المساكين الذين يبالغون في حب الصالحين ، وحاولوا أن يحملوك على عبادتهم مع الله – أو من دون الله – بدعوتهم ، والاستغاثة بهم ، والاستعانة بهم ، وسؤالهم كشف الكربات ، وشفاء المرضى ، وطلب الشفاعة منهم ، والتوسل بهم توسلا بدعياً ، غير شرعي ، وغير ذلك من ما يفعله بعض العوام اليوم ، فبادر إلى النصوص الآتية لتسد بها باب الشرك بالله ، وباب الغلو في الصالحين ، وأحسن التصرف فيها ، وحاول ردهم إلى الحق ، وعالجهم علاج طبيب ماهر بيان ما هو حق لله وحده لا يشاركه فيه أحد من خلقه ، وبيان حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم وحقوق الصالحين رحمهم الله تعالى ، وهذه بعض النصوص (وان المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً) الجن ١٨ . (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) الكهف ١١٠ . (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت) الأنعام ١٦٢ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا سألت فاسأل الله » « وإذا استعنت فاستعن بالله » « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » وما في هذا المعنى من النصوص الصريحة الكثيرة . والله ولي التوفيق .

وإذا سلمت في البابين – باب توحيد العبادة – وباب توحيد الأسماء والصفات – فقد سلمت ، ولكن لا تقف عند هذا الحد فقط ، بل كمّل إيمانك بالعمل الصالح بامتثال المأمورات واجتناب المنهيات فابتعد عن البارات الخبيثة المنتشرة هنا وهناك ، ولا توسخ قلبك بالخمر فتهلك ، ولا تقصد إلا بيتك الشرعي ، ولا تبع هواك إلى تلك البيوت الوسخة ، فتهلك وقد نفى الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان عن أولئك الذين يتجرءون على فاحشة الزنا وشرب المسكر والترفه والسرقة ،

ونهب أموال الناس ، حيث يقول صلى الله عليه وسلم : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة يرفع الناس لها رؤوسهم حين ينتهب وهو مؤمن » أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

أخي المسلم أكثر الخطوات إلى المساجد ، وحافظ على الصلوات مع الجماعة وعلى حضور صلاة الجمعة دائماً ، يسلم لك دينك .

وأسأل الله الكريم رب العرش العظيم ، أن يجعلني وإياكم ممن يقول ويسمع فيعمل – كما أسأل الله تعالى أن لا يجعل ما قلناه وما سمعناه ، حجة علينا إنه ولي ذلك ، والقادر عليه . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محمد امان بن علي